



الجمهورية الإسلامية الإيرانية
علم الثورة والفكرية والثقافة
شعبة الإعلام

سلسلة المناهل الاخلاقية للشباب



صِفَاتِ الْمُؤْمِنِ

في مدرسة أهل البيت
عليه السلام

إعداد

الأستاذ عبد المحسن الباوي

مجلدات الدراسات والبحوث



العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

شعبة الإعلام

وحدة الدراسات والنشر

كربلاء المقدسة

ص ب (٢٣٣)

هاتف: ٣٢٢٦٠٠٠، داخلي: ١٧٥-١٦٣

www.alkafeel.net

info@alkafeel.net

الكتاب: سلسلة المناهل الأخلاقية للشباب/ صفات المؤمن في
مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)..
الكاتب: الأستاذ عبد المحسن الباوي.
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة/
شعبة الاعلام/ وحدة الدراسات والنشر.
الاخراج الطباعي والتصميم: علاء سعيد الاسدي.
التدقيق اللغوي: مصطفى كامل محمود.
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق: ٥٨٩ لعام ٢٠١٤ م.
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر.
الطبعة: الأولى
عدد النسخ: ٢٠٠٠
جمادى الآخرة ١٤٣٤ - آيار ٢٠١٣

مُقَدِّمَاتُهَا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين
محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

إن المستقرئ لآي الذكر الحكيم وأحاديث الحبيب المصطفى وآل
بيته الأطهار (صلوات الله عليهم) ليلمس حقيقة جليلة مفادها أن
هذا الدين الحنيف أولى الإنسان أهمية قصوى باعتبار إنسانيته وكرمه
وفضله على الخلائق كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا
تَفْضِيلًا﴾^(١) وهذا الأمر له أبعاد جمّة.

ثم خص بالتكريم والإجلال مقام الإنسان المسلم الموحد الناطق
بالشهادتين، وبعد ذلك تضيق الدائرة لتصل إلى مقام الإيمان القلبي
الجوانحي، فالمؤمن الحق هو المختص بالاهتمام والرعاية من لدن
الشارع المقدس، وهذا ما يؤكد الكتاب المجيد حيث وردت لفظة
(الذين آمنوا) ٢٦٣ مرة، ووردت بصيغة (المؤمنين) ٨٣ مرة، وبصيغة

(١) سورة الإسراء / الآية: ٧٠.

(المؤمنون) ٢٨ مرة، وبصيغة المصدر (الإيمان) ١٤ مرة.

وأما الأحاديث الشريفة الواردة عن النبي الأعظم عليه السلام والأئمة المعصومين عليهم السلام التي تناولت الإيمان كأصل وما تفرع عنه من صفات يجب توافرها في المرء حتى يعد مؤمناً فهي تفوق حد الحصر، وهذا يدل على سمو وجلالة مرتبة الإيمان، كما أن لصفة الإيمان قداسة وجلال وبهاء تُزين المتحلي بها في الدنيا والآخرة. لذا رأينا الوقوف عند صفات المؤمن التي جاءت الأحاديث الشريفة بذكرها حتى لا تختلط الأوراق ويأتي أي شخص ويصف نفسه أو غيره بصفة المؤمن.

وسنحاول تسليط الضوء على صفات المؤمنين في قادم صفحات هذا البحث، متجولين في ربوع تراث النبي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام^(١)، لنكتطف من رياضها الغناء زهوراً ورياحين في صفات المؤمنين؛ لتشكل معياراً وقسطاساً مستقيماً لمن ينعت نفسه بهذا النعت الشريف، ولنعرف كلنا حدود الإيمان ومن ثمّ نعرض أنفسنا عليها ونقيّم مدى قربنا وبعدها من وعن هذه الصفة المقدسة. والله الموفق والمستعان.

(١) أئمة أهل البيت عليهم السلام هم عدل القرآن بنص حديث الثقلين الشريف والمتواتر عن النبي عليه السلام عند الفريقين «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» وبدلالة هذا الحديث المبارك وغيره يتبين أن مدرسة أهل البيت عليهم السلام هي مدرسة الإسلام بمفاهيمه السامية وقيمه العالية وتعاليمه الحقة.

بين مفهومي الإيمان والإسلام في

مدرسة أهل البيت عليهم السلام

إن المتتبع لأحاديث أهل البيت عليهم السلام ليجد تفريقاً واضحاً بين مفهوم (الإيمان) ومفهوم (الإسلام) وكأنها هناك دائرة واسعة عامة تسمى الإسلام في قبال دائرة ضيقة خاصة تسمى الإيمان.

وهذا القرآن الكريم يبين أن الإيمان موطنه القلب كما جاء بقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(١). وكذلك جاءت الروايات لتمييز بين الإسلام والإيمان وتضع الفوارق بينهما، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي اكتب، فقلت: ما أكتب: فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، الإيمان ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، والإسلام ما جرى على اللسان وحلت به المناكحة»^(٢). وقال الإمام الباقر عليه السلام: «الإيمان إقرار وعمل، والإسلام إقرار بلا عمل»^(٣). وقال الإمام

(١) سورة الحجرات / الآية: ١٤.

(٢) بحار الأنوار / ج ٥٠ / ص ٢٠٨.

(٣) تحف العقول / ص ٢٩٧.

الصادق عليه السلام: «دين الله اسمه الإسلام، وهو دين الله قبل أن تكونوا حيث كنتم، وبعد أن تكونوا، فمن أقر بدين الله فهو مسلم، ومن عمل بما أمر الله عز وجل به فهو مؤمن»^(١). ونكتفي بهذا القدر من الأحاديث الشريفة^(٢)، لنستخلص منها الأمور التالية:

١- إن الإسلام تلفظ بالشهادتين وإقرار ظاهري بالإسلام وبذلك يُحقن دم المرء ويكون له ما للمسلمين وعليه ما عليهم يحل الزواج منه وتزويجه وتؤكل ذبيحته وتُحفظ حرمة.

٢- الإيمان مفهوم أخص من الإسلام، فهو يتعلق بالجوانح وما انطوت عليه السرائر وصدقته الأعمال الظاهرية مما يجب فعله أو الانتهاء عنه.

٣- الإيمان أسمى رتبة، وأعلى منزلة من الإسلام، لأن الإسلام إقرار باللسان فقط، أما الإيمان فهو يجمع بين الإقرار والعمل، ومعلوم أن العمل أهم من لقلقة اللسان.

ومن هذا نصل لنتيجة واضحة وجلية هي أن الاتصاف بصفات المؤمن الحقة هي الغاية الأرفع التي ينبغي أن تُشدد. لذا فإن من

(١) الكافي / ج ٢ / ص ٣٨.

(٢) ومن أراد التوسعة في هذا الباب فليطلب ذلك من مظانه في بطون كتب الحديث والأخبار والعقائد والتفسير فهي ملئى بها يشفي الغليل.

المستحسن التعرف على هذه الصفات والعمل بجد واجتهاد على ضرورة التحلي بها قدر المستطاع وإن اختلفت شدة وضعفاً حسب المتصف بها.

لذا سنحاول قدر الإمكان الوقوف عند صفات المؤمن التي إن تحلى بها المسلم عُدَّ مؤمناً حقاً لا إدعاءً، وإن جانبها كان كالرامي بلا وتر كما في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر»^(١).

(١) نهج البلاغة - باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام الحكمة رقم (٣٣٧).

صفات المؤمن

إن معرفة صفات المؤمن هي وسيلة للتعرف عليه، وقد وضعت لنا الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة الواردة عن النبي الأعظم والعترة الطاهرة (صلوات الله عليهم أجمعين) ضوابط ومعايير تحدد هوية المؤمن وتبين ملامحه بما لا يدع مجالاً للحيرة والشك، لذا سنضع من هذه ما يساعدنا في التعرف على المؤمن الحقيقي من غيره، وذلك من خلال جولتنا الطيبة في ربوع كلمات نبينا الأعظم وآل بيته (صلوات الله عليهم) لأنها السبيل الأوضح للوصول إلى مرضاة الله تعالى ونيل سعادة الدارين قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١).

أولاً: الولاء لأهل البيت عليهم السلام

إن المؤمن الحق هو من شايع وتابع أئمة أهل البيت عليهم السلام من أمير المؤمنين إلى مولانا الحجة بن الحسن (صلوات الله عليهم أجمعين)، فقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي، مثلك في أمتي

(١) سورة الأنعام / الآية: ١٥٣.

مَثَلُ الْمَسِيحِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ افترق قومه ثلاث فرق: فرقة مؤمنون وهم الحواريون، وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلوا فيه فخرجوا عن الإيمان. وإن أمتي ستفترق فيك ثلاث فرق: ففرقة شيعتك وهم المؤمنون، وفرقة عدوك وهم الشاكون، وفرقة تغلو فيك وهم الجاحدون، وأنت في الجنة يا علي وشيعتك ومحب شيعتك، وعدوك والغالي في النار»^(١)، ومن هذا الحديث وغيره نجد أن علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام يضعون ضابطاً للمؤمن في كتبهم الفقهية بأنه من كان إثني عشرياً^(٢).

وهذا يعني أن كل من فقد هذه الصفة (كونه إثني عشرياً) لا يصح وصفه بالمؤمن، ولذا لا نستغرب من التشابه الكبير في الروايات الشريفة التي تذكر صفات المؤمنين وصفات الشيعة الاثني عشرية؛ لأن صفات المؤمنين هي عينها صفات الشيعة^(٣). وهذه مجموعة من الروايات التي

(١) بحار الأنوار / ج ٢٥ / ص ٢٦٩.

(٢) يقول السيد الخوئي رحمته الله في شروط المجتهد (٤- الإيمان بمعنى أن يكون اثني عشرياً) راجع المسائل المتخبة ص ١٠.

(٣) قد يتهمنا البعض بالمبالغ والتعصب حين يطالع هذا القول، ونقول حاشا وكلا فما هذا مرادنا ولا هذا ما نبغي من تسطير هذه السطور والله تعالى المطلع على حقيقة الأمور، ولكننا نحيل من يتهمنا بذلك إلى دراسة صفات الشيعة الواردة في هذه العينة اليسيرة من أحاديث العترة الشريفة ويحكم عقله ويستمتع لصوت الإنصاف من داخل وجدانه فإنه بلا شك سوف يصل إلى

تذكر بعض صفات الشيعة كما جاءت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام:

١- قال الإمام العسكري عليه السلام: «شيعة علي عليه السلام هم الذين لا يبالون في سبيل الله أوقع الموت عليهم أو وقعوا على الموت، وشيعة علي عليه السلام هم الذين يؤثرون إخوانهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وهم الذين لا يراهم الله حيث نهاهم، ولا يفقدهم من حيث أمرهم، وشيعة علي عليه السلام هم الذين يقتدون بعلي في إكرام إخوانهم المؤمنين»^(١).

٢- وعن الإمام الصادق عليه السلام: «شيعتنا أهل الورع والاجتهاد، وأهل الوفاء والأمانة، وأهل الزهد والعبادة، أصحاب إحدى وخمسين ركعة في اليوم واللييلة، القائمون بالليل، الصائمون بالنهار، يزكون أموالهم، ويحجون البيت، ويحبتون كل محرم»^(٢).

٣- وعنه عليه السلام: «شيعتنا من قدم ما استحسن، وأمسك ما استقبح، وأظهر الجميل، وسارع بالأمر الجليل، رغبة إلى رحمة الجليل، فذاك منا وإلينا ومعنا حيثما كنا»^(٣).

نتيجة مهمة مفادها أن صفات الشيعة التي أرادها أئمتهم عليهم السلام لهم هي عينها صفات المؤمنين التي أرشدت إليها الآيات الكرييات والأحاديث الشريفة المتفق على صحتها بين فرق المسلمين.

(١) ميزان الحكمة ج ٢ ص ١٥٣٨.

(٢) البحار ج ٦٨ ص ١٦٧.

(٣) م. ن.

٤- وعنه عليه السلام: «إنما شيعة علي من عف بطنه وفرجه، واشتد جهاده، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه، فإذا رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفر»^(١).

٥- وعن الإمام الباقر عليه السلام: «لا تذهب بكم المذاهب، فوالله ما شيعتنا إلا من أطاع الله عز وجل»^(٢).

٦- وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «شيعتنا المتبازلون في ولايتنا، المتحابون في مودتنا المتزاورون في إحياء أمرنا، الذين إن غضبوا لم يظلموا، وإن رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاوروا، سلم لمن خالطوا»^(٣).

٧- الإمام الحسن عليه السلام - في جواب رجل قال له: (إني من شيعتكم)-: «يا عبد الله إن كنت لنا في أوامرنا وزواجرنا مطيعاً فقد صدقت، وإن كنت بخلاف ذلك فلا تزدد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها، لا تقل: أنا من شيعتكم، ولكن قل: أنا من مواليكم ومحبيكم ومعادي أعدائكم، وأنت في خير وإلى خير»^(٤).

٨- الإمام علي عليه السلام: «شيعتنا هم العارفون بالله، العاملون بأمر الله، أهل الفضائل، الناطقون بالصواب، مأكولهم القوت، وملبسهم

(١) البحار ج ٦٨ ص ١٦٧.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٧٣.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٢٣٦.

(٤) تنبيه الخواطر ج ٢ ص ١٠٦.

الاقتصاد، ومشيهم التواضع... تحسبهم مرضى وقد خولطوا وما هم بذلك، بل خامرهم من عظمة ربهم وشدة سلطانه ما طاشت له قلوبهم، وذهلت منه عقولهم، فإذا اشتاقوا من ذلك بادروا إلى الله تعالى بالأعمال الزكية، لا يرضون له بالقليل، ولا يستكثرون له الجزيل»^(١).

ثانياً: المؤمن الحقيقي هو من يعمل الصالحات

عرفنا مما تقدم أن ما يميز المؤمن عن المسلم هو اقتران القول بالعمل، وهذه حقيقة قرآنية صرحت بها غير آية من آي الذكر الحكيم، فقد ورد ذكر قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قرابة (٥٢ مرة) نستشهد بعينة منها للبركة:

١- ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ البقرة / ٢٥.

٢- ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة / ٨٢.

٣- ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ المائدة / ٩.

٤- ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ الرعد / ٢٩.

- ٥ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ الكهف / ٣٠.
- ٦ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ البينة / ٧.

وهو ما أكدت عليه روايات المعصومين عليهم السلام ونذكر منها:

- ١ - قول رسول الله ﷺ: «الإيمان والعمل أخوان شريكان في قرن، لا يقبل الله أحدهما إلاّ بصاحب»^(١).
- ٢ - وعنه ﷺ: «لا يقبل إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان»^(٢).
- ٣ - وعنه ﷺ: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»^(٣).
- ٤ - وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «لو كان الإيمان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ولا حلال ولا حرام»^(٤).
- ٥ - وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ملعون ملعون من قال: الإيمان قول بلا عمل»^(٥).
- ٦ - وعنه ﷺ: «الإيمان عمل كله، والقول بعض ذلك العمل

(١) ميزان الحكمة ج ١ ص ٢٩٣.

(٢) م.ن.

(٣) م.ن.

(٤) ميزان الحكمة ج ١ ص ٢٩٣.

(٥) البحار ج ٦٩ ص ١٩.

بفرض من الله بينه في كتابه»^(١).

٧- وعنه عليه السلام: «لو أن العباد وصفوا الحق وعملوا به ولم تعقد قلوبهم على أنه الحق ما انتفعوا»^(٢).

فائدة:

استوقفني كلمة الإمام الصادق عليه السلام: «ملعون ملعون من قال: الإيمان قول بلا عمل» فهل هناك من يعتقد بكون الإيمان مجرد لقلقة لسان دون ترجمة واقعية مصداقية على الأرض بالأفعال الصالحة والأعمال النافعة والسلوك المستقيم؟

نعم هناك طائفة عرفت في تاريخ المسلمين بـ (المرجئة) وردت الروايات الشريفة بلعنهم بأشد العبارات تعتقد هذا المعتقد الزائف وتبناه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله بحقهم: «لُعنت المرجئة على لسان سبعين نبيا، الذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل»^(٣).

واعلم أن لهذه العقيدة خطر كبير على الإسلام لأنها تعتقد أنه لا يضر مع الإيمان معصية، ولا ينفع مع الكفر طاعة. فلذلك سموا مرجئة لاعتقادهم أن الله تعالى أرجأ تعذيبهم على المعاصي، أي: أخره

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٨

(٢) ميزان الحكمة ج ١ ص ٢٩٣.

(٣) ميزان الحكمة ج ١ ص ٢٩٤.

عنهم، قال الشيخ جعفر سبحاني في التحذير من خطرهم: «المرجئة الذين اكتفوا بالتصديق القلبي أو اللساني واستغنوا عن العمل.. [و] قدّموا الإيمان وأخروا العمل، فهذه الطائفة من أكثر الطوائف خطراً على الإسلام وأهله، لأنهم بإذاعة هذا التفكير بين الشباب، يدعونهم إلى الإباحية والتجرّد عن الأخلاق والمثل العليا ويعتقدون أنّ الوعيد خاص بالكفار دون المؤمنين، فالجحيم ونارها ولهبها لهم دون المسلمين، ومعنى أنّه يكفي في النجاة الإيمان المجرد عن العمل، وأيّ خطر أعظم من ذلك؟»^(١).

ثالثاً: المؤمن صادق لا يكذب.

الصدق سجية الأبرار، وسمة الأطهار، شعار النبيين، وخصلة الصديقين، عنوان الأولياء، وميزة الأتقياء، وما عساني أقول في مدح المتحلين بهذه الصفة الحميدة وقد ورد ذكرهم بكل خير في كتاب الله المجيد فقال تعالى:

١ - ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ المائدة . ١١٩ /

٢ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

(١) الإيمان والكفر في الكتاب والسنة - جعفر سبحاني / ص ٢١.

التوبة / ١١٩.

٣- ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾
الأحزاب / ٣٥.

وقد وردت روايات كثيرة تصرح بكون الصدق من أبرز سمات المؤمنين، بل هو دعامة الإيمان كما جاء بالروايات ونورد هنا جملة يسيرة من هذه الروايات والتي وردت في كتاب غرر الحكم:

- ١- قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الصدق أقوى دعائم الإيمان».
- ٢- وعنه عليه السلام: «الصدق عماد الإسلام، ودعامة الإيمان».
- ٣- وعنه عليه السلام: «الصدق رأس الإيمان، وزين الإنسان».
- ٤- وعنه عليه السلام: «الصدق جمال الإنسان، ودعامة الإيمان».
- ٥- وعنه عليه السلام: «الصدق أمانة اللسان، وحلية الإيمان».
- ٦- وعنه عليه السلام: «الصدق لباس الدين»^(١).

أما الكذب فهو كل ما يقوله الإنسان خلافاً للواقع والحقيقة وهو

(١) غرر الحكم / ١٥٧٩، ١٧٥٤، ١٩٩٣، ٢١٢٠، ١٤٥١، ٤٥٨.

من الكبائر، وهو خصلة ذميمة والاتصاف بها منقصة مشينة، يحكم العقل المجرد بقبحها ودناءة متحلها فضلا عن الشرع الحنيف، فليس بمؤمن من كان كذابا كما أكدت ذلك الآيات الكريمة والتي منها قوله تعالى:

١- ﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ آل عمران / ٦١

٢- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ غافر / ٢٨

٣- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ الزمر / ٣

٤- ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ

هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ النحل / ١٠٥

ومن يستقرئ أحاديث المعصومين عليهم السلام الواردة في ذم هذه الخصلة ليستدل بها لا يقبل الشك على قبح الكذب ونفي الإيثار عن المتصف به. فتأمل - أيها القارئ الكريم - في الأحاديث الآتية:

١- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إياكم والكذب، فإن الكذب مجانب

للإيمان»^(١).

٢- وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «جانبوا الكذب، فإنه مجانب للإيمان،

الصادق على شفا منجاة وكرامة، والكاذب على شرف مهواة ومهانة»^(٢).

(١) كنز العمال / ٨٢٠٦.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ٨٦.

- ٣- وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إن الكذب هو خراب الإيمان»^(١).
- ٤- وعن الإمام العسكري عليه السلام: «خُطَّتِ الخبائث في بيت وجعل مفتاحه الكذب»^(٢).

وقد يستغرب المرء للوهلة الأولى لشدة تحذير هذه النصوص الشريفة من هذه الخصلة الذميمة، ولكن هذا الاستغراب يزول بقليل من التدبر فيصّل إلى نتيجة مهمة مفادها أن كل الشرور والآفات التي تصيب الفرد والمجتمع وتهلك الحرث والنسل مبتدأها من الكذب، وفي هذا يقول الإمام الباقر عليه السلام: «إن الله عز وجل جعل للشّر أقفالاً، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب»^(٣)، والكذب شر من الشراب»^(٤).

والعجب كل العجب أننا نعيش اليوم حالة من خداع الأنفس والضحك على الذقون بإطلاق تصنيفات للكذب فهناك كذب أبيض و كذب أسود، وهناك كذب الهزل الذي يقصد به المرح والترويح عن

(١) بحار الأنوار / ج ٧٢ / ص ٢٤٧.

(٢) ميزان الحكمة / ج ٣ / ص ١٤٣٥.

(٣) قال العلامة المجلسي في بيان هذا الحديث: «والمراد بالشراب جميع الاشربة المسكرة، وكان المراد بالأقفال الامور المانعة من ارتكاب الشرور من العقل وما يتبعه ويستلزمه من الحياء من الله ومن الخلق والتفكر في قبورها وعقوباتها ومفاسدها الدنيوية والأخروية، والشراب يزيل العقل، وبزوالها ترتفع جميع تلك الموانع، فتفتح جميع الاقفال». [بحار الأنوار / ج ٦٩ / ص ٢٣٧]

(٤) الكافي / ج ٢ / ص ٤٧٣ / ح ٣.

النفس المتعبة، وهناك كذبة نيسان التي أضحت تقليداً أعمى لا أصل له عند المتشرعة ولا عند العقلاء. والحديث في هذا الباب يطول ويخرج البحث عن غرضه، لكننا نكتفي بإيراد هذين الحديثين الشريفين بهذا الخصوص:

الأول عن رسول ﷺ: «إن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل، ولا أن يعد الرجل ابنه ثم لا ينجز له، إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار»^(١).

والثاني عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجده»^(٢).

فوائد:

الفائدة الأولى: موارد جواز الكذب.

قد وردت أحاديث ذكرت موارد يجوز فيها الكذب إذا ترتب عليه مصلحة تكون فائدها أعم من ضرر الكذب، ولكنها مؤطرة بضوابط وحدود وحالات خاصة جداً:

(١) ميزان الحكمة / ج ٣ / ص ١٤٣٦.

(٢) بحار الأنوار / ج ٧٢ / ص ٢٤٩.

١ - قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل أحب الكذب في الصلاح، وأبغض الصدق في الفساد»^(١).

٢ - وعن الإمام الصادق عليه السلام: «الكذب مذموم إلا في أمرين: دفع شر الظلمة، وإصلاح ذات البين»^(٢).

٣ - وعنه عليه السلام: «المُصلِح ليس بكاذب»^(٣).

٤ - وعنه عليه السلام: «كل كذب مسؤول عنه صاحبه يوماً إلا [كذباً] في ثلاثة: رجل كائد في حربه فهو موضوع عنه، أو رجل أصلح بين اثنين يلقي هذا بغير ما يلقي به هذا يريد بذلك الإصلاح ما بينهما، أو رجل وعد أهله شيئاً وهو لا يريد أن يتم لهم»^(٤).

إن تجوز الكذب في هذه الموارد ناظر إلى ما يترتب على ذلك من مصلحة عامة تخص الأمة جمعاء كما في مورد الحرب بين المسلمين والكافرين، أو مصلحة تخص أفراداً معينين كما في مورد الإصلاح بين فريقين أو فردين بينهما قطيعة أو سوء تفاهم أو صد وإعراض وهنا يُفضل على الساعي بينهما أن لا ينقل ما يتحدثه أحدهما على الآخر من

(١) بحار الأنوار / ج ٧٧ / ص ٤٧ / ح ٣.

(٢) بحار الأنوار / ج ٧٢ / ص ٢٦٣ / ح ٤٨.

(٣) الكافي / ج ٢ / ص ٣٤١ / ح ١٦.

(٤) الكافي / ج ٢ / ص ٣٤٢ / ح ١٨.

كلام انفعالي يُشنج الأجواء ويُعمق القطيعة ويزيد من حدة التوتر، فينبغي للعاقل اللبيب أن يلطف الأجواء بالكلام الطيب الجميل حتى يصلح بينهما.

أما مورد جواز الكذب في وعد الرجل أهله بشيء وهو يقصد إخلاف الوعد أو تأجيله لغير الوقت المصرح به، فهذا بلا شك ناظر إلى الحفاظ على بنية الأسرة المسلمة المؤمنة من التفكك نتيجة المشاكل وتعكير أجواء المودة والمحبة والصفاء لأن الأسرة هي لبنة المجتمع الأساسية التي إن أصابها الضرر - لا سامح الله - عم المجتمع كله وحدث ما لا يحمد عقباه.

وقد يعترض البعض بأن في ذلك استخفاف بعقل المرأة، وتقليل من شأنها، ولكن المعارض هنا لم يُقلِّب المسألة في ذهنه جيداً فالحق أن المرأة صنو الرجل في التكاليف الشرعية - إلا ما يخص طبيعتها الأنثوية - ولا يصح الاستخفاف بها في أي حال من الأحوال، لكن الله تعالى أودع المرأة عاطفة جياشة تغلب حاكمية العقل عند الرجل، وليس هذا على نحو التعميم ولا على نحو التفضيل، إلا أن تجويز النصوص للكذب في هذه الحالة يخص المرأة التي يرتفع عندها سلطان العاطفة ويطغى على سلطان العقل.

الفائدة الثانية: التورية خير سبيل للخلاص من إثم الكذب.
 التورية: بأن يقصد من الكلام معنى من معانيه مما له واقع، ولكنه
 خلاف الظاهر.^(١)

وهي أيضاً أن يتكلم الشخص بكلام يحتمل معنيين، ويقصد منه شيئاً آخر غير الظاهر، ولكن المخاطب يفهم معنى آخر، مثلاً إذا جاء شخص وسأل عن صاحب البيت عند الباب، وقال: هل أن فلان موجود في البيت؟ فيقول المجيب: إنه غير موجود هنا، ومقصوده من كلمة «هنا» خلف الباب، ولكن السامع يتصور أن الشخص المذكور غير موجود في البيت، وهذا النوع من التورية غير مشروط بحال الضرورة وإن كانت مراعاة الضرورة أفضل.^(٢)

وقد نقل القرآن الكريم حكاية على السنة الأنبياء عليهم السلام استعمالهم التورية في حالات الضرورة لدرء المفسد وجلب المصالح واجتناب الوقوع في إثم الكذب.

قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَظَرَنْظَرَةً فِي التُّجُومِ ۖ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات / ٨٨، ٨٩].

وفي قصة هدم الأصنام استخدم إبراهيم عليه السلام التورية بشكل رائع

(١) منهاج الصالحين - السيد السيستاني (رحمته الله) / ج ٢ ص ١٥.

(٢) الفتاوى الجديدة - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي / ج ٣ ص ١٤٨ مس ٤٩٢.

كما يحدثنا القرآن الكريم بذلك في سورة الأنبياء ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا ابْنِ بَرَهِيمٍ ۖ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٢، ٦٣].

وفي قصة النبي يوسف عليه السلام يحدثنا القرآن الكريم عن استخدامه للتورية في قضية (صواع الملك) قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ [يوسف / ٧٠].

وقد سُئِلَ الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل في قصة إبراهيم عليه السلام ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ قال: ما فعله كبيرهم وما كذب إبراهيم عليه السلام قيل: وكيف ذلك؟ فقال: إنما قال إبراهيم عليه السلام ﴿فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ فإن نطقوا فكبيرهم فعل، وإن لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم شيئاً، فما نطقوا وما كذب إبراهيم عليه السلام فسُئِلَ عن قوله تعالى في سورة يوسف ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ قال: إنهم سرقوا يوسف من أبيه، ألا ترى أنه قال لهم حين قالوا ﴿مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ﴾ ولم يقل سرقتم صواع الملك، إنما سرقوا يوسف من أبيه...»^(١).

رابعاً: المؤمن كثير الذكر لله تعالى.

قال تعالى في سورة الأحزاب ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝﴾ الأحزاب الآية: ١٤-٢٤.

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «المؤمن دائم الذكر، كثير الفكر»^(١)
وعن الإمام الباقر عليه السلام: «كأن المؤمنين هم الفقهاء أهل فكرة وعبرة، لم يصممهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم، ولم يعمهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة»^(٢).

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «لَمَّا سُئِلَ: مَنْ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ؟: «أَكْثَرَهُمْ ذِكْرًا لِلَّهِ وَأَعْمَلَهُمْ بِطَاعَتِهِ»^(٣).

وللسيد عبد الأعلى السبزواري -رحمته- كلام جميل في المقام نوره مقتضياً لأهميته: «من أجل مقامات العارفين مقام الذكر، بل هو من أعظم مظاهر حب الحبيب لمحبوبه فإن: (من أحب شيئاً أكثر من ذكره) ومن علامات الحبيب الاستهتار بذكر حبيبه، وقد قالوا: إن المحب إذا صمت هلك، والعارف إذا نطق هلك، لان الأول مجبول على ذكر الحبيب، والثاني مأمور بستر الأسرار.. والذكر عندهم على اقسام ثلاثة:

(١) غرر الحكم ٧٦١٧.

(٢) بحار الأنوار/ ج ٧٣ / ص ٦٣

(٣) بحار الأنوار/ ج ٩٣ / ص ١٦٤.

الاول: ذكر اللسان المستمد من القلب.

الثاني: ذكر القلب مع عدم حركة اللسان، ويسمى مناجاة الروح والاستجماع للمذكور بالكلية وهذا هو ذكر الخواص.

الثالث: ذكر السر، ومعناه غيبة الذاكر في المذكور - في الجملة - فكان المذكور يكون هو الذاكر، وهذا اخص الخواص. ومثلوا لكل ذلك بأمثلة مذكورة في محالها. كما بنوا لكل واحد منها ثمرات ونتائج.^(١)

خامساً: المؤمن يفوض أمره لله تعالى ويرضى بقضائه

إن مسألة تفويض أمور العبد لربه والتسليم الكامل له تعالى والرضا التام بقدره وقضائه من صفات عباد الله المخلصين من النبيين والأولياء والصديقين. كما أن قيمتها تكمن في كونها صفة نفسانية خفية لا تظهر للعيان إلا ببعض الآثار التي يُستدل بها عليها من قبيل الصبر على البلاء والشكر على النعماء وعدم الجزع عند نزول القضاء وغيرها. وهي درجة شائخة لا يناها بحقيقتها إلا ذو حظ عظيم وهم خاصة عباد الله تعالى الذين ذاقوا أنفسهم حلاوة حقيقة الإيمان، وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «بينا رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذ لقيه ركب فقالوا: السلام عليك يا رسول الله. فقال ﷺ: ما أنتم؟ قالوا: نحن مؤمنون. قال ﷺ فما حقيقة إيمانكم؟. قالوا: الرضا بقضاء الله والتسليم

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ج ٢ ص ١٥٩.

لأمر الله والتفويض إلى الله تعالى. فقال عليه السلام علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء، فإن كنتم صادقين فلا تبوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتقوا الله الذي تُرجعون»^(١).

وعن رسول الله عليه السلام: «إن لكل شيء حقيقة، و ما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه»^(٢). ولعل تعبير النبي الأعظم عليه السلام بلفظة (حتى يعلم) فيها ما فيها من الدلالات التي تؤكد أن من أصدق مصاديق صفات المؤمن الوصول إلى درجة اليقين بأن ما أصابه من خير أو شر ما كان ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه، فهو تعالى الحي القيوم المدبر وهو عز اسمه بيده مقاليد السماوات والأرض.

سادساً: المؤمن سخي لا يبخل

ورد في كثير من الأحاديث الشريفة بيان أن البخل والإيمان لا يجتمعان، فمن ادعى الإيمان وهو بخيل شحيح فهو كاذب في مدعاه.

١ - قال رسول الله عليه السلام: «لا يجتمع الشح»^(٣) والإيمان في قلب عبد أبداً»^(٤).

(١) معاني الأخبار / ص ١٨٧ .

(٢) ميزان الحكمة / ج ١ / ص ٢٩١ .

(٣) ويقول صاحب الصحاح (الشُّحُّ: البُخْلُ مَعَ جِرْصٍ).

(٤) بحار الأنوار / ج ٧٠ / ص ٣٠٢ .

٢- وعنه عليه السلام: «خصلتان لا يجتمعان في مؤمن: البخل، وسوء الظن بالرزق»^(١).

٣- وعنه عليه السلام: «خُلُقَان لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: الشَّحُّ، وَسُوءُ الْخُلُقِ»^(٢).
سابعاً: المؤمن عزيز لا ينبغي له أن يذل نفسه.

إن عزة المؤمن مستمدة من عزة الله تعالى كما صرحت بذلك الآيات الكريمة في غير موضع كقوله تعالى ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ النساء ١٣٩ وهنا تأكيد على أن العزة كلها لله تبارك وتعالى.

وبعد ذلك يفرع فيجعلها لرسوله وللمؤمنين ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المنافقون / ٨.

وفي هذا المضمار نجد حديثاً لمولانا الإمام الصادق عليه السلام يقف فيه موقفاً متشدداً تجاه إذلال المؤمن نفسه، مما يدل دلالة واضحة على أن هذا الأمر من الأهمية بمكان بحيث لا ينبغي التهاون فيه مطلقاً فيقول عليه السلام:
«إن الله تبارك وتعالى فوض إلى المؤمن كل شيء إلا إذلال نفسه»^(٣).

ولما سئل عليه السلام عن كيفية إذلال المؤمن نفسه، فقال عليه السلام: «يتعرض لما

لا يطيق فيذلها»^(٤).

(١) بحار الأنوار / ج ٧٧ / ص ١٧٢.

(٢) بحار الأنوار / ج ٧٤ / ص ١٧٣.

(٣) الكافي / ج ٥ / ص ٦٣.

(٤) مشكاة الأنوار / ص ٢٤٥.

وفي حديث آخر عنه عليه السلام قال: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه، قال المفضل بن عمر: قلت: بما يذل نفسه؟ قال عليه السلام: يدخل فيها يعتذر منه»^(١) وهذا من أجل مصاديق الذلة، فمن تبوأ مقعدا ليس له بأهل، أو ادعى مُدعى بلا دليل معتد به عند العقلاء، أو سلك مسلكاً أكبر من طاقته وإمكانيته وقابليته أوقع نفسه في مأزق هو في غنى عنه و تعرض للذلة عن طريق الاستهزاء والاستخفاف والسخرية من الآخرين فرحم الله إمرأ عرف قدر نفسه ﷺ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ شِئْنَا أَوْ آخِطْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

وحين يطالعنا الحديث النبوي الشريف عن النبي الأعظم ﷺ: «من أقر بالذل طائعا فليس منا أهل البيت» نستذكر مقولة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء إذ قال حين عبأ ابن سعد جيشه الجرار وأحاط به وبعسكره من كل جانب صدح عليه السلام بقولته التي غدت شعاراً للأحرار في كل زمان ومكان: «ألا إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، أبى الله ذلك ورسوله،

وجدد طابت، وحجور طهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية».

فائدة: أمور توجب الذل:

١- الطمع: قال الإمام الباقر عليه السلام: «لا ذل كذل الطمع».

٢- كشف الضر: عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «رضي بالذل من كشف عن ضره».

٣- حب الحياة الدنيا: عن الإمام الصادق عليه السلام: «من أحب الحياة ذل».

٤- ترك الحقوق: عن الإمام الصادق عليه السلام: «ترك الحقوق مذلة».

٥- الاعتزاز بغير الله تعالى و الابتعاد عن الدين: قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «من اعتز بغير الله أهلكه العز». وعنه عليه السلام: «كل عز لا يؤيده دين مذلة».

٦- الظلم: عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حين شكى إليه أحدهم ظلم جاره له وجوره عليه فقال عليه السلام: اصبر عليه. فقال الرجل: ينسبني الناس إلى الذل، فقال عليه السلام: «إنما الذليل من ظلم».

٧- إهانة الناس: عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أذل الناس من أهان الناس».

٨- الحرص على الدنيا: عن الإمام علي عليه السلام حين سُئل: أي ذل أذل؟

فقال عليه السلام: «الحرص على الدنيا».^(١)

ثامناً: الصبر رأس الإيمان.

الصبر من أجلى محاسن الأخلاق، وأبرز محامد السجايا، حثت على التحلي بها آيات الكتاب المجيد، وتضافرت أحاديث العترة الطاهرة في مدح المتحلي بها بل إننا وجدنا في بعضها اختزال الإيوان بصفة الصبر - كما سيمر بنا -.

ويكفي أن الله تعالى وعد بوقوفه مع الصابرين ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة ١٥٣
وقال تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ البقرة ١٧٧.

ويكفي الصابرين فخراً بأن الله تعالى يحبهم كما صرح القرآن الكريم بذلك ﴿وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ آل عمران ١٤٦.

(١) راجع المزيد في هذا الباب: ميزان الحكمة / ج ٢ / ص (٩٨٣ - ٩٨٤)

أما الأحاديث الشريفة في هذا الباب فتفوق حد الحصر، ولكننا سوف نستعرض عينة كريمة منها:

- ١- عن رسول الله ﷺ - لما سئل عن الإيمان - : «الصبر»^(١)
- ٢- وعن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : «الصبر أحسن خلل الإيمان، وأشرف خلائق الإنسان».^(٢)
- ٣- الإمام الصادق (عليه السلام) : «المؤمن يطيع على الصبر على النوائب».^(٣)
- ٤- وعنه (عليه السلام) : «الصبر رأس الإيمان».^(٤)
- ٥- وعنه (عليه السلام) : «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان».^(٥)
- ٦- وعن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : «أيها الناس عليكم بالصبر، فإنه لا دين لمن لا صبر له».^(٦)
- ٧- عن الإمام الباقر (عليه السلام) : «لو يعلم المؤمن ما له في المصائب من

(١) مسكن الفؤاد / ٤٨ .

(٢) غرر الحكم / ١٨٩٣ .

(٣) مشكاة الأنوار / ص ٢٣ .

(٤) - الكافي / ج ٢ / ص ٩٠ .

(٥) الكافي / ج ٢ / ص ٩٠ .

(٦) الكافي / ج ٢ / ص ٩٠ .

الأجر لتمني أن يقرض بالمقاريض»^(١).

٨- الإمام علي عليه السلام: «الإيمان على أربع دعائم شعب: على الصبر، واليقين، والعدل، والجهد. والصبر منها على أربع شعب: على الشوق، والشفق، والزهد، والترقب: فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات، ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات»^(٢).

تاسعاً: المؤمن مستقيم اللسان

اللسان من أخطر جوارح الإنسان حين ينحرف ويعوج، وباب يجر الويلات على صاحبه إذا لم يهذب ويُقوّم، وهو سلاح ذو حدين فبه تُنال سعادة الدارين حين يُحسن استعماله، أما إذا حصل العكس - والعياذ بالله - فلا ينال صاحبه إلا العار والشنار في الدنيا وفي الآخرة عذاب أليم.

واللسان جارحة من الخطورة بمكان يعم شرها الفرد والمجتمع، ومن استقرأ أحداث المشاكل الاجتماعية، والأزمات المعكّرة لصفو المجتمع، علم أن منشأها في الأغلب بوادر اللسان، وتبادل المهاترات الباعثة على توتر العلاقات الاجتماعية، وإثارة الضغائن والأحقاد بين

(١) بحار الأنوار / ج ٨١ / ص ٢١٠.

(٢) نهج البلاغة / الحكمة ٣١.

أفراد المجتمع. من أجل ذلك كان صون اللسان عن تلك القوارص والمبازل، وتعويده على الكلم الطيب والحديث المهدّب النبيل، ضرورة حازمة يفرضها أدب الكلام وتقتضيها مصلحة الفرد والمجتمع.

فطيب الحديث، وحسن المقال، من سمات النبيل والكمال، ودواعي التقدير والاعزاز، وعوامل الظفر والنجاح.^(٣)

لذا نجد تأكيد الشريعة المقدسة على صيانة اللسان واستقامته بأشدّ العبارات فيها هو القران الكريم يقدم القول الحسن على إقامة الصلاة التي هي عمود الدين فقال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ...﴾ البقرة/ ٨٣

وفي وصية قرآنية أخرى نلحظ الوصية بالقول السديد تأتي بعد الوصية بالتقوى مباشرة فيقول الله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ضَعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ النساء/ ٩، وكذلك في قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ الأحزاب/ ٧٠

لأجل ذلك كله وردت عن أهل البيت عليهم السلام روايات شريفة في الحث على صيانة اللسان وتنقيته من قبائح الألفاظ وتعويده على الطيب

(٣) ينظر: أخلاق أهل البيت عليهم السلام / ص ٢٤٢.

من القول لأن في استقامته استقامة الإيـان، نذكر منها:

١- قال رسول الله ﷺ: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»^(١).

٢- وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ولقد قال رسول الله ﷺ: لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه فمن استطاع منكم أن يلقي الله تعالى وهو نقي الراحة من دمـاء المسلمين و أمـواهم سليم اللسان من أعراضهم فليـفـعل»^(٢).

٣- وقال رسول الله ﷺ: «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تستكفي اللسان، أي تقول: اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»^(٣).

وفي روايات شريفة أخرى نجد أن أئمتنا عليهم السلام قد وصفوا المؤمن بأن لسانه خلف قلبه بمعنى أن كلامه يخرج منضبطاً بضوابط الشرع والعقل والعرف القويم ولا يشذ عن ذلك أبداً وإلا لم يعد مؤمناً يقول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «إن لسان المؤمن من وراء قلبه، وإن قلب المنافق من وراء لسانه، لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره في

(١) ميزان الحكمة / ج ٤ / ص ٢٧٧٧.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٧٦.

(٣) المحجة البيضاء / ج ٥ / ص ١٩٣.

نفسه، فإن كان خيرا أبداه وإن كان شرا واره، وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه»^(١).

وللسان حق على المرء يعرفنا عليه مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالته العظيمة رسالة الحقوق: «حق اللسان إكرامه عن الحنا، وتعويده الخير، وترك الفضول التي لا فائدة لها، والبر بالناس، وحسن القول فيهم»^(٢).

ويعد الفحش والسب والقذف من أخطر آفات اللسان، فالفحش هو التعبير عما يقبح التصريح به، وأما السب فهو الشتم، نحو «يا كلب، يا خنزير، يا حمار، يا خائن» وأمثاله من مصاديق الالهانة والتحقير. وأما القذف: نحو يا ابن الزانية. وهذه الخصال الثلاث من أبشع مساوئ اللسان، وغوائله الخطيرة، التي استنكرها الشرع والعقل، وحذرت منها الآثار والنصوص^(٣).

والملاحظ في مجتمعنا اليوم وللأسف الشديد الاستخفاف بعظم خطر هذه المفردات فتراها تتسبب حوارات شريجة واسعة من مجتمعنا دون استهجان أو استنكار بل الأدهى أننا نرى البعض يبررها بأنها على

(١) - نهج البلاغة / الخطبة ١٧٦.

(٢) - بحار الأنوار / ج ٧١ / ص ٢٨٦، والحنا: الفاحش من القول.

(٣) - ينظر: أخلاق أهل البيت عليهم السلام / ص ٢٣٦.

سبيل (المزاح !!) فليعلم أولئك بأن من تسؤل له نفسه استساغة هذه المفردات القدرة قد جانب سبيل المؤمنين وابتعد عن طريق الصالحين وعصى رب العالمين وخالف نهج أهل البيت عليه السلام.

عاشرًا: المؤمن جد لا يلهو

يقول صاحب مجمع البحرين في مادة (ل ه و):

قال الشيخ الطريحي في مجمع البحرين: «قوله تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي ساهية مشغولة بالباطل عن الحق وتذكره قوله تعالى ﴿لَهُوَ الْحَدِيثُ﴾ أي باطله وما يُلهي عن ذكر الله قيل: والإضافة بمعنى «من» لأن اللهو يكون من الحديث وغيره. قوله تعالى ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ قيل الولد وقيل المرأة قوله تعالى ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ أي أشغلكم التفاخر والتباهي في كثرة المال عن الآخرة.

قوله تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ولا يبيع عن ذكر الله ﴿أي لا تشغلهم قوله تعالى ﴿فَأَن تَعْلَهُ﴾ أي نتشاغل وتتغافل، محذوف منه إحدى التائين من قولهم «تلهيت عن الشيء» و «لهيت عنه وتركته»^(١)

ويقول ابن منظور في لسان العرب: «اللَّهُو ما هَوَتْ به ولَعِبَتْ به وشغَلَكَ من هوى وطربٍ ونحوهما وفي الحديث ليس شيء من اللُّهُو إِلَّا فِي ثَلَاثِ أَيِّ لَيْسَ مِنْهُ مَبَاحٌ إِلَّا هَذِهِ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا إِذَا تَأَمَّلْتُهَا

وجدتها مُعِينَةً عَلَى حَقِّ أَوْ ذَرِيعَةً إِلَيْهِ وَاللَّهُوُ اللَّعِبُ يُقَالُ لَهَوْتُ بِالْشَيْءِ أَهْوُ بِهِ هَوَاً وَتَلَهَّيْتُ بِهِ إِذَا لَعِبْتَ بِهِ وَتَشَاغَلْتَ وَغَفَلْتَ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ وَهَيْتُ عَنْ الشَّيْءِ بِالْكَسْرِ أَهَيْتُ بِالْفَتْحِ هُيَاً وَهَيَاناً إِذَا سَلَوْتَ عَنْهُ وَتَرَكْتَ ذَكَرَهُ وَإِذَا غَفَلْتَ عَنْهُ وَاشْتَغَلْتَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا﴾ قِيلَ اللَّهُوُ الطُّبْلُ وَقِيلَ اللَّهُوُ كُلُّ مَا تُلَهِّي بِهِ لَهَا يَلْهُو هَوَاً وَالتَّهْيُ وَأَلْهَاهُ.. وَالْمَلَاهِي آلَاتُ اللَّهِوِ وَقَدْ تَلَاهَى بِذَلِكَ وَالْأَهْوَةُ وَالْأُهْيَةُ وَالتَّلْهِيةُ مَا تَلَاهَى بِهِ وَيُقَالُ بَيْنَهُمْ أُهْيَةٌ كَمَا يُقَالُ أُحْجِيَّةٌ وَتَقْدِيرُهَا أَفْعُولَةٌ وَالتَّلْهِيةُ حَدِيثٌ يُتْلَى بِهِ^(١).

اللهو والملاهي ميزة عصرنا الحاضر، وسمة مجتمعاتنا العربية خاصة والشرقية عامة، فنرى شريحة واسعة من شبابنا وكهولنا لا هم لهم في قضاء أوقات الفراغ - وما أكثرها في مجتمعاتنا الاستهلاكية غير المنتجة - إلا في قتلها باللهو واللعب و سفافس الأمور التي لا تغني ولا تسمن من جوع. وكأن الله تعالى لم ينهنا عن اتباع اللهو في آيات كثيرة من كتابه المجيد كقوله تعالى ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ الأنعام/ ٧٠.

وكقوله عز وجل ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ الجمعة/ ١١

(١) لسان العرب ج ١٥ مادة (لهو)

أما الروايات الشريفة فقد تضافرت في ذم است فراغ الوسع في اللهو واللاهين، وأن المؤمن لا يلهو وأن لا يقترب من مجالس اللهو:

١- قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اللهو يُسَخِّطُ الرحمن، ويُرضي الشيطان، ويُنسي القرآن»^(١).

٢- وعنه عليه السلام: «مجالسة أهل اللهو يُنسي القرآن، ويُحضر الشيطان»^(٢).

٣- وعنه عليه السلام: «المؤمن يعاف اللهو، ويألف الجد»^(٣).

٤- وعنه عليه السلام: في صفة المؤمن: «مشغول وقته»^(٤)، بمعنى لا وقت له للهو واللعب وهدر وقته بما لا طائل يرتجى منه.

٥- وعن الإمام الحسن عليه السلام: «المؤمن لا يلهو حتى يغفل، فإذا تفكر حزن»^(٥).

٦- وعن الإمام الصادق عليه السلام: فيمن طلب الصيد لاهيا -: «وإن المؤمن لفي شغل عن ذلك، شغله طلب الآخرة عن الملاهي - إلى أن قال -: وإن المؤمن عن جميع ذلك لفي شغل، ماله وللملاهي؟! فإن

(١) البحار ج ٧٨ ص ٩.

(٢) م. ن.

(٣) غرر الحكم ١٥٠٢.

(٤) نهج البلاغة الحكمة ٣٣٣.

(٥) تنبيه الخواطر ج ١ ص ٥٢.

الملاهي تورث قساوة القلب وتورث النفاق»^(١).

٧- وعنه عليه السلام - لما سأله صفوان الجمال عن صاحب هذا الأمر:-
«صاحب هذا الأمر لا يلهو ولا يلعب، وأقبل أبو الحسن وهو صغير
ومعه بهمة عناق مكية ويقول لها: اسجدي لربك، فأخذه أبو عبد
الله عليه السلام وضمه إليه وقال: بأبي أنت وأمي من لا يلهو ولا يلعب»^(٢).

٨- وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «عجباً لإبن النابغة! يزعم لأهل
الشام أن فيّ دعابة، وأني امرؤ تلعبه، أعافس وأمارس! لقد قال باطلاً،
ونطق أثماً.. أما والله إنه ليمنعني من اللعب ذكر الموت، وإنه ليمنعه من
قول الحق نسيان الآخرة»^(٣).

فائدة:

وفي مقابل هذه الروايات الشريفة نجد روايات أخرى تتحدث
عن أنواع من اللهو تليق بالمؤمنين ممارستها ولا تعد من الملاهي
المذمومة وهي ناظرة لثمرات إيجابية على صعيد الدنيا والآخرة، ومفيدة
على صعيد الفرد والمجتمع ولا شك فهي ممدوحة مرغوب فيها شرعاً
وعقلاً، ومن تلكم الروايات:

(١) مستدرک الوسائل ج ١٣ ص ٢١٦.

(٢) البحار ج ٤٨ ص ١٩.

(٣) نهج البلاغة الخطبة ٨٤.

- ١- عن رسول الله ﷺ: «كل هو المؤمن باطل إلا في ثلاث: في تأديبه الفرس، ورميه عن قوسه، وملاعبته امرأته، فإنهن حق». ^(١)
- ٢- وعنه ﷺ: «خير هو المؤمن السباحة، وخير هو المرأة المغزل». ^(٢)
- ٣- وعنه ﷺ: «كل شيء ليس من ذكر الله هو ولعب، إلا أن يكون أربعة: ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشى الرجل بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة». ^(٣)
- ٤- وعن الإمام الباقر عليه السلام: «هو المؤمن في ثلاثة أشياء: التمتع بالنساء، ومفاكهة الإخوان، والصلاة بالليل». ^(٤)

الحادي عشر: المؤمن غريزته النصيح

النصح خلق كريم، وسجية نبيلة، امتاز بها كرام الخلق على لئامهم، فهي تدل على سمو نفس الناصح، وطهارة ذاته، ونقاء سيرته. بل إن الرسول الكريم ﷺ اختزل الدين كله بالنصيحة فقال: (الدين النصيحة) وهي بعد ذلك مما دأب أنبياء الله تعالى عليه مع أقوامهم، فهذا القرآن الكريم يتحدثنا عن نبي الله صالح عليه السلام كيف خاطب قومه بقوله:

(١) الكافي / ج ٥ / ص ٥٠.

(٢) ميزان الحكمة / ج ٤ / ص ٢٨٠٤.

(٣) ميزان الحكمة / ج ٤ / ص ٢٨٠٤.

(٤) - بحار الأنوار / ج ٧٦ / ص ٥٩.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمُ لَقَدْ أَتَلَعْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ﴾ الأعراف / ٧٩

ويحدثنا أيضا عن نصيحة مؤمن آل فرعون لموسى الكليم عليه السلام إذ قال: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّكَ أَلَمَلَأْتَ تِمْرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّصِيحِينَ﴾ القصص / ٢٠

والنصح من صفات المؤمن الحقّة بل هي غريزة من غرائزه المتأصلة التي لا يحيد عنها كما جاءت به الروايات:

١- قال أمير المؤمنين عليه السلام: «المؤمن غريزته النصح»^(١).

٢- وعنه عليه السلام: «النصيحة من أخلاق الكرام»^(٢).

٣- وعن الإمام الصادق عليه السلام: «يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب»^(٣).

٤- وعنه عليه السلام: «عليكم بالنصح لله في خلقه، فلن تلقاه بعمل أفضل منه»^(٤).

بل إن أعظم الناس منزلة يوم القيامة هم الناصحون كما صرح بذلك نبينا الأعظم عليه السلام بقوله: «إن أعظم الناس منزلة يوم القيامة

(١) مستدرک الوسائل / ج ١٢ / ص ٤٣٠.

(٢) غرر الحكم / الحكمة ١٢٩٨.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٢٠٨.

(٤) الكافي ج ٢ ص ٢٠٨.

أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه»^(١).

ولنختتم هذه الفقرة بما ذكره مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام من حق الناصح والمستنصح: «الإمام زين العابدين عليه السلام: حق المستنصح أن تؤدي إليه النصيحة، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به، وحق الناصح أن تلين له جناحك وتصني إليه بسمعك، فإن أتى الصواب حمدت الله عز وجل، وإن لم يوافق رحمته، ولم تتهمه وعلمت أنه أخطأ، ولم تؤاخذه بذلك إلا أن يكون مستحقاً للتهمة فلا تعباً بشيء من أمره على حال»^(٢).

(١) م. ن .

(٢) الخصال ص ٥٧٠ .

علامات المؤمن الحقيقي

وكما يوجد للمؤمنين صفات يتحلَّون بها كذلك توجد علامات يُعرفون بها وتميَّزهم عن غيرهم، وهذه العلامات كثيرة نشير هنا إلى بعضها:

* الرفق علامة المؤمن:

قال ابن منظور «الرَّفَقُ ضد العُنْف.. وَرَفَقَ لَطَفَ»^(١)، والرفق خلق كريم، وسجية إنسانية نبيلة، ولما كان الإسلام دين الرحمة والتسامح واللطف حتَّى على ضرورة أن يتخلق المؤمن بهذا الخلق العظيم، وهنا ثلاثة أحاديث عجيبة في التأكيد على أهمية هذه الخصلة الحميدة وعلاقتها بالإيمان - وهو محل البحث -.

١- فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «لكل دين خلق وخلق الإيمان الرفق».

٢- وعن الإمام الباقر عليه السلام: «من قسم له الرفق قسم له الإيمان».

٣- وعنه عليه السلام: «إن لكل شيء قفلاً وقفل الإيمان الرفق»^(٢).

(١) لسان العرب / مادة (رفق)

(٢) ميزان الحكمة / ج ٢ / ص ١٥٣٢

وهنا نجد أن أمير المؤمنين عليه السلام اختزل خلق الإيمان بـ (الرفق) وفي حديث الإمام الباقر عليه السلام بيان واضح بأن من وُفّق للرفق وُفّق للإيمان فالمدخل للإيمان الكامل هو الرفق أو قل بأن مفتاح بلوغ الإيمان الحقيقي هو (الرفق) كما بينه الإمام الصادق عليه السلام في الحديث الثالث «فقل الإيمان الرفق».

والحق أنني لم استطع أن أمر على هذه الخصلة الإيمانية الرفيعة مرور الكرام، حيث أن هذه الأسطر تُكتب في أجواء يعاني فيها المؤمنون في شتى أصقاع المعمورة من هجمة شرسة تقودها قوى الكفر العالمية على أيدي الفرق التكفيرية التي ألّبت نفسها جلباب الإسلام زوراً وبهتاناً، فقتلت وعاثت في الأرض فساداً وتدميراً، حتى غدت مفردة (الإسلام) وللأسف الشديد أنها تُرادف عند الكثير من الشعوب المتحضرة (الإرهاب، القسوة، الغلظة، الشدة، العنف، القتل، التشريد، الجهل، التخلف).

أين هؤلاء المتأسلمون الجدد من الرفق واللين والتسامح واللطف و طيبة القلب واحترام الآخرين وحرمة الدماء والأعراض والأموال والكثير من مفاهيم النبل الإنسانية التي دعا إليها الدين المحمدي الأصيل؟!!

واليوم لا نلمس من هؤلاء إلا شيوع لغة التكفير والإستهانة

بكرامة الإنسان هذا المخلوق العظيم الذي جعله الله تعالى خليفة له في أرضه وفضله على كثير من خلقه ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء/ ٧٠] نجد في واقعنا المزري اليوم أناس يكبرون الله تعالى وهم يحملون سيوفاً يقطعون فيها رؤوس الأبرياء الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويحجون البيت. بل تعدى الأمر إلى أن يقف أحدهم مكبراً وهو يقتلع قلب مسلم ميت ويأكله أمام الكاميرات. في مشهد مفرز تنفر منه الطباع السليمة والفطرة القويمة. نعم تُكتب هذه الأسطر في وقت تتعالى فيه الأصوات التكفيرية الظلامية منادية بوجوب الجهاد ضد المسلمين من أتباع أهل البيت عليهم السلام.

* الوجه المنبسط، واللسان اللطيف، واليد المعطية.

ولنقف عند هذه الصفات متأملين فيها، فأول ما نلاحظ كونها جمعت بين ثلاث خصال ظاهرية (الوجه المنبسط، واللسان اللطيف، واليد المعطية) تصحبها واحدة باطنية وهي (القلب الرحيم). قال النبي ﷺ: «إن للمؤمن أربع علامات: وجهاً منبسطاً، ولساناً لطيفاً، وقلباً رحيماً، ويداً معطية».^(١)

والمعلوم أن ظاهر الفرد هو انعكاس لدواخله، فهناك تلازم وثيق

(١) أعلام الدين في صفات المؤمنين ص ١٢٢.

بين الباطن والظاهر، فإذا كان الظاهر صالحاً كان ذلك دالاً على صلاح الباطن والعكس صحيح.

نعم يخرج من هذه القاعدة المنافق فهو من أظهر الصلاح وأبطن الفساد.

وقد اختلف علماء اللغة في أصل النفاق، ف قيل: إن ذلك نسبة إلى النفق، وهو السرب في الأرض؛ لأن المنافق يستر كفره ويغيبه، فتشبه بالذي يدخل النفق يستتر فيه. قال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ البقرة / ٨.

وبالعودة إلى الحديث الشريف محل البحث، نستنتج - والله العالم - إن الحبيب المصطفى صلوات الله عليه أراد أن يبين حقيقة مهمة مفادها أن صلاح القلب وامتلاءه بالرحمة عند المؤمن يُثمر أخلاقاً وصفات حسنة ممدوحة محبة عند الخالق والمخلوق ومن أجل مصاديقها (الوجه المنبسط، واللسان اللطيف، واليد المعطية).

أ- الوجه المنبسط:

الدين الإسلامي دين المودة والرحمة والمحبة والتسامح واللين قال تعالى ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَوْ كُنْتَ قَطًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران / ١٥٩ والأدلة على ذلك تفوق حد

الحصر من آيات الكتاب المجيد والروايات الشريفة، ومن مصاديق ذلك حثّ الشارع المقدس على طلاقة الوجه وبشاشة المحيا، وتضافرت أحاديث أهل البيت عليهم السلام في الحثّ على هذا الأمر ونكتفي بذكر عيّنة طيّبة منها والتي أوردتها العلامة المجلسي في بحار الأنوار:

١- عن الحسن بن الحسين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:
قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بني عبد المطلب إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم
فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر.

قال العلامة المجلسي في بيان الحديث: «وسعه الشيء يسعه سعة فهو واسع، ووسّع بالضم وساعة فهو وسيع، والوسع والسعة الجدة والطاقة، ومنه الحديث: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم أي لا تتسع أموالكم لعطائهم، فوسّعوا أخلاقكم لصحبهم وقال: فيه: أن تلقاه بوجه طلق، يقال: طلق الرجل بالضم يطلق طلاقه فهو طلق وطلق أي منبسط الوجه، متهلله، وفي القاموس هو طلق الوجه مثلثة وككتف وأمير ضاحكة مشرقة، والبشر بالكسر طلاقة الوجه وبشاشته، وقيل حسن البشر تنبيه على أن زيادة البشر وكثرة الضحك مذمومة، بل الممدوح الوسط من ذلك. وأقول-والكلام للمجلسي-: يحتمل أن يكون للمبالغة في ذلك أو يكون إشارة إلى أن البشر إنما يكون حسناً إذا كان عن صفاء الطوية والمحبة القلبية، لا ما

يكن على وجه الخداع والحيلة..»^(١)

٢- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ثلاث من أتى الله بواحدة منهن أوجب الله له الجنة: الإنفاق من إقتار، والبشر بجميع العالم، والإنصاف من نفسه».

قال العلامة المجلسي في بيان الحديث: «والبشر بجميع العالم» هذا إما على عمومه، بأن يكون البشر للمؤمنين لايمانهم وحبهم لهم، وللمنافقين والفساق تقية منهم ومدارة لهم كما قيل: دارهم مادمت في دارهم، وارضهم ما كنت في أرضهم، أو مخصوص بالمؤمنين كما يعشر به الخبر الاتي وعلى التقدير لابد من تخصيصه بغير الفساق الذين يعلم من حالهم أنهم يتركون المعصية إذا لقيتهم بوجه مكفهر، ولا يتركونها بغير ذلك، ولا يتضرر منهم في ذلك فان ذلك أحد مراتب النهي عن المنكر الواجب على المؤمنين.

٣- عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل فقال: يا رسول الله أوصني فكان فيما أوصاه أن قال: إلق أخاك بوجه منبسط.

قال العلامة المجلسي في بيان الحديث: «التخصيص بالأخ لشدة

الاهتمام، أو المراد به انبساط الوجه، مع حب القلب»^(١).
 وتراثنا العربي والإسلامي هو الآخر مليء كذلك بالشواهد
 الحكيمة والأمثال والأشعار التي تمدح هذه الخصلة الطيبة سئل
 أعرابي عن الكرم، فقال: أما الكرم في اللقاء فالبَشَاشَةُ، وأما في العِشْرة
 فالحَشَاشَةُ، وأما في الأخلاق فالسَّحَاحَةُ، وأما في الأفعال فالنَّصَاحَةُ، وأما
 في الغنى فالمشاركة، وأما في الفقر فالمواساة. - قيل البَشَاشَةُ في الوجه
 خير من القَرَى، قالوا فكيف بمن يأتي بها وهو ضاحك، وقد ضَمَّنَ
 الشيخ شمس الدين البديوي هذا الكلام بأبيات، فقال:

إذا المرء وافى منزلاً منك قاصداً

قِرَاكُ وأرْمَتُهُ لديك المسالك

فكن باسمها في وجهه متهللاً

وقل مرحباً أهلاً ويوم مبارك

وقدّم له ما تستطيع من القَرَى

عجولاً ولا تبخل بما هو هالك

فقد قيل بيت سالف متقدّم

تداوله زيد وعمرو ومالك

(١) - البحار ج ٧١ ص ١٧٠ وما بعدها.

بَشَاشَةً وَجْهَ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنَ الْقِرَى

فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك

ب- اللسان اللطيف:

وهذه علامة أخرى من علامات المؤمن كما بينها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله واللفظ في معاجم اللغة يعني (الرفق) ومن هنا فسروا اسمه تعالى (اللطيف) بأنه الرفيق بعباده سبحانه وتعالى. والذي يناسب عبارة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله مورد البحث - والله ورسوله أعلم - هو الطيب من الكلام أو قل الكلام المهذب البعيد عن آفات اللسان التي مر ذكرها من فحش وسباب وقذف وخنا وبذاءة.

والتلطف باب جميل أشبعه علماء الأخلاق واللغة بحثاً وتنقياً، وقد ذُكر في النقطة التاسعة من صفات المؤمن وهي استقامة اللسان بما يغني عن ذكر الجانب الأخلاقي في اللسان اللطيف، أما في جانب اللغة فعلم البلاغة كفيل ببيان ذلك وعلى وجه الخصوص حين يُستعمل التلميح بدل التصريح في موارد معينة وذلك تحقيقاً لغايات أخلاقية وأدبية مثل التأدب والاحتشام ومن أمثلته ما يتعلق بعلاقة الرجل بالمرأة وهذا أدب قرآني رائع، حيث نجد أن القرآن الكريم لم يصرح بتلك الخصوصية في كل الموارد التي تناولها كقوله تعالى ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ

أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُمْ ﴿البقرة ١٨٧﴾ لاحظ مفردتي (الرفث) و(باشروهن).

وكقوله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعَزُّ لُؤْلُؤُا نِسَاءٍ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ﴿البقرة ٢٢٢﴾ لاحظ مفردتي (تقربوهن) و(فأتوهن).

يقول الدكتور عمر فروخ: «وكان قد لفت نظري ورود جملة في كتاب ((فقه اللغة)) للثعالبي هي: «لعل أسماء النكاح تبلغ مائة كلمة عن ثقات الأئمة بعضها أصلي، وبعضها مكْنِي» وكنت في أثناء قراءتي المتكررة للقاموس المحيط للفيروز آبادي، أستغرب كثرة الألفاظ الجنسية، حتى خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّهُ لَا تَخْلُو مَادَّةٌ مِنْ مَوَادِّ الْمَعْجَمِ الْعَرَبِيِّ مِنْ لَفْظٍ جَنْسِيٍّ دَالٍّ عَلَى اسْمٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ حَالٍ لِذَلِكَ الْجَانِبِ مِنْ حَيَاةِ الْبَشَرِ وَحَيَاةِ الْحَيَوَانَ، ثُمَّ يَسْتَطِرِدُّ قَائِلًا: وعددت أنا الألفاظ المتعلقة بهذا المدرك في القاموس فوجدتها تزيد على ألف ومائتين... وحاولت تعليلاً لهذه الكثرة.. فبان لي أن جانباً كبيراً منها من باب الكناية... حيث كان العربي يُكْنَى به عن المدرك الجنسي بلفظ... فإذا اشتهر هذا اللفظ ودلَّ على ما كان يُكْنَى عنه صراحةً استحيا العربي من الاستمرار في استعماله

فانتقل إلى كناية جديدة غامضة^(١).

ومن تلك الغايات التي يلتجأ إلى التلطف في الكلام من أجلها (التفاؤل والتشاؤم) فهناك مسميات تنفر منها الطباع مرتكزة في أذهان عامة الناس تدعو إلى التشاؤم والخوف والهلع، وهنا ينبغي للمؤمن أن يتلطف في لفظها مراعاة للذوق العام ولعل هذا يفسر لنا تعدد مسميات بعض الألفاظ المترادفة في العربية كلفظ الداهية التي قال عنها حمزة الأصفهاني: «إنَّ تكاثر أسماء الدواهي من إحدى الدواهي»^(٢).
ج- اليد المعطية:

وهذه العلامة الثالثة من علامات الظاهر وإن كان تسلسلها في الحديث رابعاً لكوننا قسمنا هذه العلامات إلى علامات الباطن وعلامات الظاهر حيث أن سمة رحمة القلب التي ذكرها الحديث الشريف باطنية وإن كانت أثارها ظاهرية.

اليد المعطية تعني الكرم وهي صفة من صفات الكرام كما أن البخل والشح من صفات اللئام، وقد مر بنا البحث عن البخل والشح وفصلنا القول فيهما على ضوء الكتاب والأحاديث الشريفة.

(١) عبقرية اللغة ص ٥٧

(٢) التنبيه على حدوث التصحيف، حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت ٣٧٠هـ) تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين الطبعة الأولى، مطبعة المعارف، بغداد

١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ص ١٣٢

مَثَلُ الْمُؤْمِنِ

وردت روايات شريفة مثَّلتُ المؤمنَ بأمثال وأشباه غاية في الروعة يستحق كل مثل منها الوقوف عنده ملياً والتمعن فيه لاستخراج الروائع الحكمية والبلاغية والأخلاقية، لما لها من آثار إيجابية على الفرد والمجتمع.

وقبل التجول في رياض آل محمد (صلوات الله عليهم) الغناء ينبغي الوقوف على المعنى اللغوي لمفردة (مثل) في المعاجم حتى تتجلى صور التشبيه والتمثيل الواردة في الأحاديث الشريفة.
قال في لسان العرب:

«(مثل) مِثْلُ كَلِمَةٍ تَسْوِيَةٌ يَقَالُ هَذَا مِثْلُهُ وَمِثْلُهُ كَمَا يَقَالُ شَبْهُهُ وَشَبْهُهُ بِمَعْنَى قَالَ ابْنُ بَرِي: الْفَرْقُ بَيْنَ الْمِثَالَةِ وَالْمُسَاوَةِ أَنَّ الْمُسَاوَةَ تَكُونُ بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الْجِنْسِ وَالْمُتَّفَقِينَ لِأَنَّ التَّسَاوِيَّ هُوَ التَّكَافُؤُ فِي الْمِقْدَارِ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ وَأَمَّا الْمِثَالَةُ فَلَا تَكُونُ إِلَّا فِي الْمُتَّفَقِينَ تَقُولُ نَحْنُ كَنَحْوِهِ وَفَقْهُهُ كَفَقْهِهِ وَلَوْنُهُ كَلَوْنِهِ وَطَعْمُهُ كَطَعْمِهِ إِذَا قِيلَ هُوَ مِثْلُهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ يَسُدُّ مَسَدَّهُ وَإِذَا قِيلَ هُوَ مِثْلُهُ فِي كَذَا فَهُوَ

مُساوٍ له في جهةٍ دون جهةٍ والعرب تقول هو مُثِيلٌ هذا وهم أُمِثَالُهُم يريدون أن المشبّه به حقير كما أن هذا حقير والمثل الشبّه يقال مثل ومثل وشبّه وشبّه بمعنى واحد»^(١)

وقال في الصحاح:

«مِثْلٌ: كلمة تسوية. يقال: هذا مِثْلُهُ ومِثْلُهُ كما يقال شِبْهُهُ وشَبْهُهُ بمعنى. والعرب تقول: هو مُثِيلٌ هذا، والمثل: ما يضرب به من الأمثال. ومِثْلُ الشيء أيضاً: صفته»^(٢).

ومن هذا المنطلق فالمماثلة تعني المشابهة على نحو المطابقة الكلية، و هناك من فرق بينها وبين المساواة على ما تقدم من نقل ابن منظور لكلام ابن بري، أما الجوهرى فقد عدّ مثل الشيء: صفته، وهذا هو المراد من بحثنا هذا. فحين نتعرف على مثل المرء وشبهه بانت واتضحت صفته، وهذا ما بيّنته الأحاديث الشريفة.

١- الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ

(١) - لسان العرب ج ١٥ ص مادة (مثل)

(٢) الصحاح في اللغة مادة (مثل) ص

لِلنَّاسِ ﴿ فِهَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ، قَالَ: فَالْمُؤْمِنُ يَتَقَلَّبُ فِي خَمْسَةِ مِنَ النُّورِ، مَدْخَلُهُ نُورٌ، وَمُخْرَجُهُ نُورٌ، وَعِلْمُهُ نُورٌ، وَكَلَامُهُ نُورٌ، وَمَصِيرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ نُورٌ»

٢- رسول الله ﷺ: «مِثْلُ الْمُؤْمِنِ كَمِثْلِ الْعِطَارِ، إِنْ جَالَسْتَهُ نَفَعَكَ، وَإِنْ مَاشَيْتَهُ نَفَعَكَ، وَإِنْ شَارَكَتَهُ نَفَعَكَ».

فَالْمُؤْمِنُ كُلُّهُ نَفْعٌ لَا ضَرَرَ مَعَهُ، فَهُوَ نَافِعٌ فِي مَجْلِسِهِ وَمَشْيَتِهِ وَمِشَارَكَتِهِ. مَثَلُهُ كَمِثْلِ الْعِطَارِ، قَالَ اللَّيْثُ: «الْعِطْرُ: اسْمُ جَامِعٍ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَعَالَجُ لِلطَّيِّبِ. وَبَيَاعُهُ: الْعِطَارُ، وَحَرْفَتُهُ: الْعِطَارَةُ»^(١)

٣- عنه ﷺ: «مِثْلُ الْمُؤْمِنِ مِثْلُ النَّخْلَةِ، مَا أَخَذْتَ مِنْهَا مِنْ شَيْءٍ نَفَعَكَ».

وَهَذَا مِثْلُ آخَرٍ فِي مَنْفَعَةِ الْمُؤْمِنِ فَيُشَبَّهُ النَّبِيُّ الْأَعْظَمُ ﷺ بِالنَّخْلَةِ، وَأَيُّ شَيْءٍ فِي النَّخْلَةِ غَيْرُ نَافِعٍ؟! فَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ.

٤- عنه ﷺ: «مِثْلُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ مِثْلُ شَجَرَةِ خَضِرَاءٍ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَلَا يَتَحَاتُّ، وَهِيَ النَّخْلَةُ».

٥- عنه ﷺ: «مِثْلُ الْمُؤْمِنِ مِثْلُ السَّنْبِلَةِ، تَمِيلُ أحيانًا وَتَقُومُ أحيانًا». لَعَلَّ الْمُرَادَ مِنْ هَذَا التَّشْبِيهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ صَلْبٌ لَا تَتْنِيهِ الْعَادِيَاتُ وَلَا تَكْسِرُهُ الصَّعَابُ، فربما يَنْحَنِي عِنْدَ اشْتِدَادِ الظُّرُوفِ وَلَكِنَّهُ سَرْعَانَ مَا

(١) تهذيب اللغة ج ٥ مادة (عطر)

يُنْتَصَب قائماً.

٦- عنه عليه السلام: «مَثَلُ الْمُؤْمَنِ مِثْلُ السَّنْبِلَةِ تَسْتَقِيمُ مَرَّةً وَتَحْمَرُ مَرَّةً، وَمِثْلُ الْكَافِرِ مِثْلُ الْأَرْزَةِ لَا تَزَالُ مُسْتَقِيمَةً حَتَّى تَحْرُ وَلَا تَشْعُرُ»

وهنا مقابلة بين تشبيه المؤمن بالسنبلة ذات الخير والنفع والعميم، المرنة التي لا تكسرهما عواصف الدهر، ومدلهمات الخطوب، فهي وإن اشتدت عليها المصائب و أحتتها لكنها سرعان ما تعود شامخة منتصبة قوية أبيّة، وبين تشبيه الكافر بشجرة الأرز قليلة النفع، التي وإن حسبها الناس شامخة قوية صامدة لأن ظاهرها يوحي بذلك إلا أنها خاوية من الداخل متآكلة متداعية سرعان ما تحترق ساقطة وهي لا تشعر، فسبحان الله يا لهما من مثلين رائعين.

٧- عنه عليه السلام: «مَثَلُ الْمُؤْمَنِ كَمِثْلِ خَامَةِ الزَّرْعِ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَأَتْهَا فَإِذَا سَكَنْتَ اعْتَدَلَتْ، وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يَكْفَأُ بِالْبَلَاءِ، وَمِثْلُ الْفَاجِرِ كَالْأَرْزَةِ صَمَاءٌ مُعْتَدِلَةٌ حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ».

٨- عنه عليه السلام: «مَثَلُ الْمُؤْمَنِ كَمِثْلِ النَحْلَةِ، إِنْ أَكَلَتْ أَكَلَتْ طَيِّباً، وَإِنْ وَضَعَتْ وَضَعَتْ طَيِّباً، وَإِنْ وَقَعَتْ عَلَى عُودٍ نَخَرَ لَمْ تَكْسِرْهُ».

٩- عنه عليه السلام: «مَثَلُ الْمُؤْمَنِ مِثْلُ سَبِيكَةِ الذَّهَبِ إِنْ نَفَخْتَ عَلَيْهَا احْمَرَّتْ، وَإِنْ وُزِنَتْ لَمْ تَنْقُصْ».

١٠- عنه عليه السلام: «مَثَلُ الْمُؤْمَنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ فِي الظَّاهِرِ، فَإِذَا دَخَلْتَهُ

وجدته مؤنقاً ومَثَلُ الفاجر كَمَثَلِ القبر المشرف المخصص يعجب من رآه وجوفه ممتلىء نتناً.

١١- عنه عليه السلام: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ وَمَثَلُ الْإِيمَانِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي آخِيَتِهِ يَجُولُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى آخِيَتِهِ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْهُو ثُمَّ يَرْجِعُ».

١٢- رسول الله عليه السلام: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ وَأَخِيهِ كَمَثَلِ الْكَفِينِ تَنْقِي أَحَدُهُمَا الْأُخْرَى».

١٣- عنه عليه السلام: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى».

عنه عليه السلام: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ لَا يَرْعَى حَقُوقَ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ كَمَثَلِ مَنْ حَوَّاسَهُ كُلُّهَا صَحِيحَةً، فَهُوَ لَا يَتَأَمَّلُ بِعَقْلِهِ، وَلَا يَبْصُرُ بِعَيْنِهِ، وَلَا يَسْمَعُ بِإِذْنِهِ، وَلَا يَعْبُرُ بِلِسَانِهِ عَنْ حَاجَتِهِ، وَلَا يَدْفَعُ الْمَكَارَهَ عَنْ نَفْسِهِ بِالْإِدْلَاءِ بِحُجَّتِهِ، وَلَا يَبْطِشُ لَشَيْءٍ بِيَدَيْهِ، وَلَا يَنْهَضُ إِلَى شَيْءٍ بِرِجْلَيْهِ، فَذَلِكَ قِطْعَةُ لَحْمٍ قَدْ فَاتَتْهُ الْمَنَافِعُ، وَصَارَ غَرَضاً لِكُلِّ الْمَكَارِهِ، فَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ إِذَا جَهِلَ حَقُوقَ إِخْوَانِهِ فَأَتَتْهُ ثَوَابُ حَقُوقِهِمْ، فَكَانَ كَالْعَطْشَانِ بِحَضْرَةِ الْمَاءِ الْبَارِدِ فَلَمْ يَشْرَبْ حَتَّى طَفَى... فَإِذَا هُوَ سَلِيبٌ كُلِّ نِعْمَةٍ، مَبْتَلَى بِكُلِّ آفَةٍ»^(١).

(١) ميزان الحكمة / ج ٤ / ص ٢٨٢٤ و ص ٢٨٢٥ و ص ٢٨٣٧.

الخاتمة

ولنختتم أيها الإخوة الكرام هذه الجولة الرائعة، بخطبة نورانية لمولانا أمير المؤمنين جمع فيها من صفات المؤمن الحق ما يحتاج الوقوف عند كل مفردة منها بحثاً مفرداً، ولكن من باب ما لا يدرك كله لا يترك كله ومن باب التبرك بذكر مولى الموحدين سيدنا أمير المؤمنين (عليه السلام) ارتأيت أن أختم هذا البحث بإيرادها كما ذكرها الشيخ الكليني بسنده في الكافي^(١):

«قَامَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ هَمَّامٌ وَكَانَ عَابِداً نَاسِكاً مُجْتَهِداً إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) وَهُوَ يَخْطُبُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لَنَا صِفَةَ الْمُؤْمِنِ كَأَنَّا نَنْظُرُ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا هَمَّامُ الْمُؤْمِنُ هُوَ الْكَيِّسُ الْفَطِنُ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْرًا وَأَذَلُّ شَيْءٍ نَفْسًا زَاجِرٌ عَنْ كُلِّ فَنٍ حَاضٌّ عَلَى كُلِّ حَسَنٍ لَا حَقْوَدَ وَلَا حَسُودَ وَلَا وَثَابَ وَلَا سَبَابَ وَلَا عِيَابَ وَلَا مُغْتَابَ يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ وَيَسْتَأْذِنُ السَّمْعَةَ طَوِيلُ الْغَمِّ بَعِيدُ الْهَمِّ كَثِيرُ الصَّمْتِ وَقَوْرٌ ذَكُورٌ صَبُورٌ شَكُورٌ مَغْمُومٌ بِفِكْرِهِ مَسْرُورٌ بِفَقْرِهِ سَهْلٌ الْخَلِيقَةُ لَيِّنٌ

(١) أصول الكافي - ج ٢ كتاب الإيمان والكفر ص ٤٥٤-٤٥٦

الْعَرَبِيَّةَ رَصِينُ الْوَفَاءِ قَلِيلُ الْأَذَى لَا مُتَأَفِّكَ وَلَا مُتَهَتِّكَ إِنْ صَحِكَ لَمْ
 يَحْرِقْ وَإِنْ غَضِبَ لَمْ يَنْزُقْ ضَحْكُهُ تَبَسُّمٌ وَاسْتِنْفَاهُ تَعَلُّمٌ وَمُرَاجَعَتُهُ تَفَهُمٌ
 كَثِيرٌ عِلْمُهُ عَظِيمٌ حِلْمُهُ كَثِيرُ الرَّحْمَةِ لَا يَنْخُلُ وَلَا يَعْجَلُ وَلَا يَضْجَرُ وَلَا
 يَيْطَرُ وَلَا يَحِيفُ فِي حُكْمِهِ وَلَا يَجُورُ فِي عِلْمِهِ نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ
 وَمُكَادَحَتُهُ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ لَا جَشَعٌ وَلَا هَلِيعٌ وَلَا عِنْفٌ وَلَا صَلْفٌ وَلَا
 مُتَكَلِّفٌ وَلَا مُتَعَمِّقٌ جَمِيلُ الْمُنَازَعَةِ كَرِيمُ الْمُرَاجَعَةِ عَدْلٌ إِنْ غَضِبَ رَفِيقٌ
 إِنْ طَلَبَ لَا يَتَهَوَّرُ وَلَا يَتَهَتَّكُ وَلَا يَتَجَبَّرُ خَالِصُ الْوُدِّ وَثِيقُ الْعَهْدِ وَفِي
 الْعَقْدِ شَفِيقٌ وَصُولٌ حَلِيمٌ حُمُولٌ قَلِيلُ الْفُضُولِ رَاضٍ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
 مُخَالِفٌ لِهَوَاهُ لَا يَغْلُظُ عَلَى مَنْ دُونَهُ وَلَا يَخُوضُ فِيهَا لَا يَغْنِيهِ نَاصِرٌ لِلدِّينِ
 مُحَامٍ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ كَهْفٌ لِلْمُسْلِمِينَ لَا يَحْرِقُ الشَّنَاءَ سَمْعَهُ وَلَا يَنْكِي الطَّمَعُ
 قَلْبَهُ وَلَا يَصْرِفُ اللَّعِبُ حُكْمَهُ وَلَا يُطْلِعُ الْجَاهِلَ عِلْمَهُ قَوْلُ عَمَّالٍ عَالِمٌ
 حَازِمٌ لَا بَفَحَاشٍ وَلَا بِطَيَّاشٍ وَصُولٌ فِي غَيْرِ عُنْفٍ بَذُولٌ فِي غَيْرِ سَرَفٍ
 لَا بِخِتَالٍ وَلَا بِغَدَارٍ وَلَا يَقْتَنِي أَثَرًا وَلَا يَحِيفُ بَشَرًا رَفِيقٌ بِالْخَلْقِ سَاعٍ
 فِي الْأَرْضِ عَوْنٌ لِلضَّعِيفِ غَوْتٌ لِلْمَلْهُوفِ لَا يَهْتِكُ سِرًّا وَلَا يَكْشِفُ
 سِرًّا كَثِيرُ الْبُلُوَى قَلِيلُ الشُّكُوى إِنْ رَأَى خَيْرًا ذَكَرَهُ وَإِنْ عَافَى شَرًّا سَتَرَهُ
 يَسْتُرُ الْعَيْبَ وَيَحْفَظُ الْغَيْبَ وَيُقِيلُ الْعَثْرَةَ وَيَغْفِرُ الرِّلَّةَ لَا يَطَّلِعُ عَلَى نُصْحٍ
 فَيَذَرَهُ وَلَا يَدْعُ جَنَحَ حَيْفٍ فَيُصْلِحَهُ أَمِينٌ رَصِينٌ تَقِيٌّ نَقِيٌّ زَكِيٌّ رَضِيٌّ
 يَقْبَلُ الْعُذْرَ وَيُجْمِلُ الذِّكْرَ وَيُحْسِنُ بِالنَّاسِ الظَّنَّ وَيَتَّهَمُ عَلَى الْعَيْبِ نَفْسَهُ

يُحِبُّ فِي اللَّهِ بَيْفَهُ وَعِلْمٌ وَيَقْطَعُ فِي اللَّهِ بِحَزْمٍ وَعَزْمٌ لَا يَحْرُقُ بِهِ فَرْحٌ وَلَا يَطِيشُ بِهِ مَرَحٌ مُذَكَّرٌ لِلْعَالِمِ مُعَلَّمٌ لِلْجَاهِلِ لَا يُتَوَقَّعُ لَهُ بَائِقَةٌ وَلَا يُخَافُ لَهُ غَائِلَةٌ كُلُّ سَعْيٍ أَخْلَصَ عِنْدَهُ مِنْ سَعْيِهِ وَكُلُّ نَفْسٍ أَصْلَحَ عِنْدَهُ مِنْ نَفْسِهِ عَالِمٌ بِعَيْنِهِ شَاغِلٌ بِغَمِّهِ - لَا يَتَّقُ بَغْيَ رَبِّهِ غَرِيبٌ وَحِيدٌ جَرِيدٌ حَزِينٌ يُحِبُّ فِي اللَّهِ وَيُجَاهِدُ فِي اللَّهِ لِيَتَّبِعَ رِضَاهُ وَلَا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ بِنَفْسِهِ وَلَا يُؤَالِي فِي سَخَطِ رَبِّهِ مُجَالِسٌ لِأَهْلِ الْفَقْرِ مُصَادِقٌ لِأَهْلِ الصَّدَقِ مُؤَاوِزٌ لِأَهْلِ الْحَقِّ عَوْنٌ لِلْقَرِيبِ أَبٌ لِلْيَتِيمِ بَعْلٌ لِلْأَرْمَلَةِ حَفِيٌّ بِأَهْلِ الْمَسْكَنَةِ مَرْجُوٌّ لِكُلِّ كَرِيهَةٍ مَأْمُولٌ لِكُلِّ شِدَّةٍ هَشَّاشٌ بِشَّاشٍ لَا بَعْبَاسٍ وَلَا بِجَسَاسٍ صَلِيبٌ كَظَامٌ بَسَامٌ دَقِيقٌ النَّظَرِ عَظِيمٌ الْحَذَرِ لَا يَنْهَلُ وَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ يَحْلُمُ لَا يَبْخُلُ وَإِنْ بُخِلَ عَلَيْهِ صَبَرَ عَقْلٌ فَاسْتَحْيَا وَقِنَعَ فَاسْتَغْنَى حَيَاؤُهُ يَعْلُو شَهْوَتُهُ وَوُدُّهُ يَعْلُو حَسَدَهُ وَعَفْوُهُ يَعْلُو حِقْدَهُ لَا يَنْطِقُ بِغَيْرِ صَوَابٍ وَلَا يَلْبَسُ إِلَّا الْإِقْتِصَادَ مَشِيهُ التَّوَاضُّعِ خَاضِعٌ لِرَبِّهِ بِطَاعَتِهِ رَاضٍ عَنْهُ فِي كُلِّ حَالَتِهِ نَبِيَّهُ خَالِصَةً أَعْمَالُهُ لَيْسَ فِيهَا غِشٌّ وَلَا خَدِيعَةٌ نَظَرُهُ عِبْرَةٌ سُكُوتُهُ فِكْرَةٌ وَكَلَامُهُ حِكْمَةٌ مُنَاصِحًا مُتَبَاذِلًا مُتَوَاضِعًا نَاصِحٌ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ لَا يَهْجُرُ أَخَاهُ وَلَا يَغْتَابُهُ وَلَا يَمْكُرُ بِهِ وَلَا يَأْسَفُ عَلَى مَا فَاتَهُ وَلَا يَحْزَنُ عَلَى مَا أَصَابَهُ وَلَا يَرْجُو مَا لَا يَجُوزُ لَهُ الرَّجَاءُ وَلَا يَفْشَلُ فِي الشَّدَةِ وَلَا يَبْطُرُ فِي الرَّخَاءِ يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلَ بِالصَّبْرِ تَرَاهُ بَعِيدًا كَسَلُهُ دَائِمًا نَشَاطُهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ قَلِيلًا زَلُّهُ مُتَوَقَّعًا لِأَجَلِهِ خَاشِعًا قَلْبُهُ ذَاكِرًا رَبَّهُ

قَانِعَةً نَفْسُهُ مَنِيًّا جَهْلُهُ سَهْلًا أَمْرُهُ حَزِينًا لِدُنْبِهِ مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ كَظُومًا غِيْظُهُ صَافِيًا خُلُقُهُ آمِنًا مِنْهُ جَارُهُ ضَعِيفًا كِبَرُهُ قَانِعًا بِالَّذِي قُدِّرَ لَهُ مَتِينًا صَبْرُهُ مُحْكَمًا أَمْرُهُ كَثِيرًا ذِكْرُهُ يُحَالِطُ النَّاسَ لِيَعْلَمَ وَيَصْمُتُ لِيَسْلَمَ وَيَسْأَلَ لِيَفْهَمَ وَيَتَجَرَّ لِيَعْنَمَ لَا يُنْصِتُ لِلْخَيْرِ لِيَفْجُرَ بِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ لِيَتَجَبَّرَ بِهِ عَلَى مَنْ سِوَاهُ نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِأَخْرَجَتْهُ فَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ إِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ الَّذِي يَنْتَصِرُ لَهُ بَعْدَهُ مِمَّنْ تَبَاعَدَ مِنْهُ بُغْضٌ وَنَزَاهَةٌ وَدُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِيْنٌ وَرَحْمَةٌ لَيْسَ تَبَاعُدُهُ تَكْبَرًا وَلَا عَظَمَةً وَلَا دُنُوهُ خَدِيعَةً وَلَا خِلَابَةً بَلْ يَقْتَدِي بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ فَهُوَ إِمَامٌ لِمَنْ بَعْدَهُ مِنْ أَهْلِ الْبِرِّ قَالَ فَصَاحَ هَمَامٌ صَبِيحَةً ثُمَّ وَقَعَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَ أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ وَقَالَ هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوْعِظَةُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ فَمَا بِأَلَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ إِنَّ لِكُلِّ أَجَلًا لَا يَعْدُوهُ وَسَبَبًا لَا يُجَاوِزُهُ فَمَهْلًا لَا تُعَدُّ فَإِنَّمَا نَفَثَ عَلَى لِسَانِكَ شَيْطَانٌ».

الفهرس

بين مفهومي الإيمان والإسلام في مدرسة أهل البيت عليه السلام ٥

٨ صفات المؤمن

٨ أولاً: الولاء لأهل البيت عليه السلام

١٢ ثانياً: المؤمن الحقيقي هو من يعمل الصالحات

١٤ فائدة:

١٥ ثالثاً: المؤمن صادق لا يكذب.

١٩ فوائد:

٢٤ رابعاً: المؤمن كثير الذكر لله تعالى.

٢٥ خامساً: المؤمن يفوض أمره لله تعالى ويرضى بقضائه

٢٦ سادساً: المؤمن سخي لا يبخل

٢٧ سابعاً: المؤمن عزيز لا ينبغي له أن يذل نفسه.

٢٩ فائدة: أمور توجب الذل:

٣٠ ثامناً: الصبر رأس الإيمان.

٣٢ تاسعاً: المؤمن مستقيم اللسان

- عاشراً: المؤمن جدُّ لا يلهو ٣٦
- فائدة: ٣٩
- الحادي عشر: المؤمن غريزته النصيح ٤٠
- علامات المؤمن الحقيقي ٤٣
- * الرفق علامة المؤمن: ٤٣
- * الوجه المنبسط، واللسان اللطيف، واليد المعطية. ٤٥
- مثلُ المؤمن ٥٣
- الخاتمة ٥٨